الفكر في أغاني شليمون بيت شموئيل

من سميل سميل الى بوني بابونا - بوني ببونا سفر خالد في دنيا الغناء , و لوحة غنائية بألوان زاهية. رسمها الفنان شليمون بيت شموئيل.. طريق طويل وملحمة اصيلة' مادتها ذاكرة الانسان الأشوري وحاضره التليد, حيث اتخذ بيت شموئيل طريقة جديدة في الغناء الأشوري الحديث بعد ان ادرك منذ صباه وظيفة الفن السياسية و الاجتماعية و الاخلاقية. واضعا اياه في المفهوم الجمالي و حالة متحركةومحركة للضمير الانساني مما جعله متميزا في الغناء بأختياره لكلمات ذات اصالة ووضعه للموسيقى بشكل متفاعل. و هذه الطريقة التي تتمخض عنها ما يمكن ان نطلق عليها في القاموس الغنائي [بالاغنية الفكرية] اي ان يجعل الانسان يتفاعل ذهنيا مع الاغنية لا ان يطرب لها فقط. وفي هذا الصدد يقول { توماس مان}على لسان الراوي في رواية الدكتور فاوستس، ان الموسيقى و الكلام ينتميان الى عالم واحد, انهما في واقع الحال شئ واحد, اللغة موسيقى و الموسيقى لغة.. وهذا ماكان يفعله بيتهوفن، حيث كان في معظم الاحيان يدون افكاره بالكلمات عندماكان يؤلف مقطوعة موسيقية، و في افضل الاحوال كان يضيف بضع نوطات هنا و هناك, فهل الامر كذلك؟. سألنا شليمون بيت شموئيل عن هذه الحالة، اي العلاقة بين الكلام و الموسيقى في اغانيه فيقول: يربط الكلمة بالموسيقى نسيج فني حساس يسمى <الفن التضامني> فاللحن في أغنية عبارة عن سلسلة من انغام متتالية و اصوات موسيقية متباينة و مطرزة بكلمات شاعرية رقيقة مبنية على الوزن و القافية لتحافظ في طياتها على اللحن من ذاكرة النسيان, فكلما ازداد نضوج الفكرة في التأليف تلاحمت الكلمة مع اللحن لتصبح اكثر انسجاما و عاطفية, عندئذ تكمل التركيبة الموسيقية والشعر الغنائي احدهما الاخر, لتولد في نهاية المطاف اغنية جيدة و مادة سمعية مستمتعة للاذن.

اذا الكلام و الموسيقة في اغاني الفنان شليمون بيت شموئيل لها وضعية تفاعلية, حيث الانفعالات و الالآم الانسانيةتتكلم. الفرح والحزن. الحب و الحقد, الخوف و الامل, هذه هي رؤيته و هواجسه, و هي الميزة التي يتميز بها دائما. و أن تبدو غير مرئية لكن الصورة فيها تتكون و تبنى عبر اسلوب درامي يؤرخ الاحداث و الامكنة و الازمنة والشخصيات, حيث يمكن للانسان ان يشعر بهذه الحالات اذا سكت لحظة و استمع لحظات, فهذه الصور التي يرسمها بيت شموئيل من خلال التفاعل بين الكلمات و الالحان في مساحة صغيرة و لكن فضاءاتها واسعة، سوف تتدحرج من ذاكرة الانسان و تتدخل حيز الوجود, لانها مبنية على الاصالة و البساطة, لان الفنون كافة كما يقول شوبنهاور<تبدو البساطة اساسية, او على الاقل, ان من الخطأ اهمالها>

منذ آلبوم شليمون بيت شموئيل الاول<سميل> الى آلبومه الاخير<بوني ـ بابونا> وعند الاستماع الى اغانيه ـ الفلاح ـ سميل المذبحة ـ اربا ايلو ـ طريق نينوى ـ زومه و كوزه ـ وطني

الام ,اشورينا , تحس دائما بأن هناك قضية. سألت مرة الفنان بيت شموئيل, نحن نعرف جميعا القضية, لكن ما هي الرسالة التي تريد ايصالها للجمهور وما هي نظرتك الى القضية الآشورية؟

– ان الرسالة التي اود ايصالها الى الجمهور الكريم, كانت دوما ان اقدم اغنية ذات كلمات هادفة تعكس واقع و حياة شعبنا من افراح و آلام منسوجة بالحان اشورية اصيلة, نابعة من مصادر موسيقية حقيقية, و من ثم تطويرها و ذلك بوضع توزيع موسيقي حديث ليستمتع الجمهور عند سماعها.

اما رؤيتي الى القضية, فأني أومن بانه لولا وجود هذه القضية لما استطعت اداء هذه الاغاني الوطنية والعاطفية, ان القضية حالة يمكن للانسان ان يحس بها في جميع اغانيي و خاصة القديمة منها. و اخص بالذكر اغنية طريق نينوى. ان امتنا التي لها ميزاتها الخاصة من اصالة تأريخية و تراث موسيقي غزير عبر التأريخ, لابد ان تؤثر على الفنان الاصيل و المبدع و ذلك بربط اغانيه بانغام موسيقية واغاني تراثية لان فلكلور الامة له علاقة حميمة بماضيه. ان اصالة الفنان تدفعه ايضا الى البحث عن كلمات حقيقية, تجسد الاحداث التأريخية و المناسبات الوطنية في اغانيه, و تتجلى اهمية خاصة لهذه الاغنية لان لها دورا مهما في ترسيخ الوعي الوطني للجمهور, و بالتالي المساهمة في رفد الحركات السياسية بزخم اضافي. و هذا ما قدمته فعلا في اغنية – مذبحة سميل – التي اصبحت في رأي الكثيرين نبراسا ينير الدرب لشعب مضطهد يتطلع الى رؤية فجر الحرية و العيش بآمان و سلام.

في اوائل شهر نيسان الجاري و خلال احتفالات شعبنا برأس السنة – كلدو آشورية – و سقوط الطاغية صدام, اهدى الفنان شليمون بيت شموئيل لشعبه آلبومه الاخير الذي صدر مؤخرا بعنوان – بوني ببونا – الذي يحتوي ايضا على اغنيات – الربيع – التسامح – الجوهرة المفقودة – الشرق و الغرب و اخيرا هاليلويا. حيث ينقلنا شليمون من خلال هذه الاغاني من طقوس الحب و جنون التوهج الى طقوس كنسية, مرة يدفعه الحنين الى التغني بالوطن, ومرة ثانية نرى حنينه يحاصره, وفي بعض الاحيان يوصله الحنين الى احساس بالامل. ففي اغنية -بوني ببونا التي هي تجسيد للوحدة القومية, حيث ان كلماتها كتبت بكافة لهجات شعبنا. يأخذ شليمون بيت شموئيل يدنا و ينقلنا من هذا العالم الى عالم الطفولة كنبع لابد من التروي منه, يداعبه, يحاوره, يناغيه, يجاريه, يغرق فيه. وهناك ايضا محاورة لطيفة في الاغنية بين الوطن و الطفل.

الوطن؛

يا بني العزيز, عد واحد اثنين

اليوم طفل صغير و غدا عريس
ترعرع يا صديقي, يا رمز الامل
و تساوى مع الزمن

الطفل؛

وطني, بلدي, يا ملجاي العظيم
اليوم ابا و غدا ساصبح جد
ادفن جسدي و ليس روحي
ادفن قلبي و ليس حبي

اما اغنية هاللويا و هي مستوحاة من مزامير داود ـ مزمور 150 ـ حيث استخدم الفنان شليمون بيت شموئيل تراتيل كنسية بأسلوب موسيقي هارموني.

سبحوه بدف و رق
سبحوه بأوتار و مزمار
سبحوه بصنوج التصويت
سبحوه بصنوج الهتاف
كل نسمة فلنسبح الرب... هاللويا

ان هذا النوع من الغناء كما في هاللويا لم يصل الينا عن طريق الاغريق كما يعتقد البعض, بل عن طريق الكنيسة الشرقية و التي كانت تراتيلها الاولى مستوحاة عن التراتيل اليهودية. و هذه الاخيرة كانت امتدادا للتراتيل البابلية منذ فترة السبي البابلي ليهود اورشليم, و في هذا الصدد يؤكد القديس اوغسطين, انه كان لمار لامبروس < اسقف ميلانو من ابناء القرن الرابع الميلادي > تراتيل و مزامير تغنى وفقا للطريقة الشرقية.

انه آلبوم جدير بسماعه لما فيه من الاحلام و التي بدونها لا يتكون التأريخ, فمن حق الفنان شليمون بيت شموئيل ان يحلم, و من حقكم انتم ان تحلمون, و من حقنا جميعا ان نحلم.. فاذا لن يحلم هو, و لن تحلمو انتم, و لن نحلم جميعا, فكيف سنصل الى الحلم الكبير

هرمز طيرو
شيكاغو 2004/4/1